أسس الحكم الشوري الموسع في الإسلام

الحلقة السابعة عشرة

الديمقراطية الأثينية منظوراً إليها من خلال العدسة التفسيرية الأخلاقية الإسلامية

الديمقراطية الأثينية في طور التأسيس
الوضع الاجتماعي والتاريخي

عرف اليونان ومنذ القرن الخامس قبل الميلاد، وعلى غرار ما حصل في **الحضارة السومرية** بالعراق التي سَبقت اليونان في التحضر بحوالي 3500 سنة مفهوم: "**الدولة-المدينة**"[1]

كانت هذه"**الدولة-المدينة**" مكونة من عشائر مستقلة صغيرة يحكمها الرجال وترتبط فيما بينها بروابط الدم والعرق.

لم يكن ظهورَ هذه البلداتِ المبكّرةِ (أنظر الخريطة اليمنى أسفله)، وعلى خلاف دولِ المدن المبكّرةِ في **سومر**[2] بالعراق (أنظر الخريطة إلى اليسار)، مخطّطا لها بل نمت حول مداشر معدودة ظلت تتَوَسّع مع مرور الزمن بشكل عشوائي.

ولأسباب أمنية، وتفادياً للهجماتَ المحتملة القادمة من البحر فقد تم بناء هذه المدن بداخلِ البلاد وليس قريباً من الأنهار أو على شواطئ البحر كما كان يتطلب ذلك المنطق التجاري المحض.

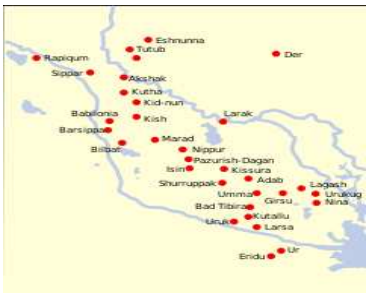

ولم تظهر "**الساحة العامة**" أو **السوق المركزي الجامع** ثم "**الأغورا**" (agora)؛ "**الجمعيةِ**" التي ستتطور لاحقاً إلى "**مجلس الشعب**" سوى بعد مرور وقت كبير على النشأة الأولى.

---

[1] جمع "الدول المدن" (Poleis)

[2] أحيطتْ المدن السومرية بالحيطانِ السميكةِ العاليةِ واخترقتها الدروبِ الواسعةِ التي ستعملتْ للمواكبِ الدينيةِ أو إستعراضاتِ النصر. كان الحُكّام يسكنون القصور الرائعةِ التي تتوسطها فناءات واسعة، بينما سكن أكثر الناس بيوتاً صغيرة جداً اخترقتها الأزقة والطرق الضيّقةِ. وتجمع الصُنّاع الذين زاولوا نفس المهنة مثل الحُياكِ، والنجارين، والحدادين،....إلخ. في حي واحد، على غرار ما زلنا نشاهد في بعض المدن العتيقة التاريخية.
ومثلت هذه الدكاكين المتراصة في شارع واحد، سوقاً مركزيا للمدينة.

كانت هذه المُدن تخضع لسَيْطرَة ملوك محليّين متغلبين، قبل أنْ تصبح، بعد خوض حروبِ مطوّلةِ، تحت سيطرَة القبيلة أو العشيرة.

وقد احتوت المدينة اليونانية المثالية في هذه الفترة الحرجة من تاريخها على المرافق التالية:

ا) **معابد** مكرسة لعبادة الآلهةِ المحليّةِ،

ب) **مدرج** لعبادة إله الخصوبةِ (الخمر): **ديونيسوس** ، الذي استجلبت عبادته مِنْ آسيا الصغرى، ولبنان بالخصوص، السابق في التحضر.

كانت طقوسية عبادة **ديونيسوس** تقوم على تناول الخمر بشكل مفرط إلى درجة العربدة المتقدمة المصحوبة بهيجانات هستيرية، وخصوصاً مِن قِبل النِساءِ المعروفات باسم: "الميناد" (maenads) حيث كن يشاركن برقص تشنجي وعروضَ عاطفية تفضي بهن إلى الخروج عن أطوارهن وبلوغ حالة من الهستيريا المُعَمَّمِة تفقدن خلالها الإحساس والشعور بما حولهن فيما يشبه الصرع ونوبة جنون جماعية تتوج بتقديم قرابين بشرية وحيوانية لهذا المعبود.

كانت هذه المراسيم تزاول في القرن السادس قبل الميلاد في فصل الربيع في كافة أنحاء اليونان وكان يونانيو تلك الفترة يرون في مثل هذه المسارح، وهي أصل المسارح الحالية في الغرب، وسيلة للتنفيس عن الذات وتفريغ المكبوتات من خلال هذه الطقوسيات.

وكان يقدم إلى الآلهةِ المحليّةِ رجلا بطلا كقربان بدلاً مِنْ حملين أو عنزتين.

ج) **مرافق للرياضة البدنية (جمنازيوم)** وملاعب (الصورة)

خصصت لتربية الناشئة وفق هندسة اجتماعية وعقدية مدروسة، حيث كانوا يدربون مبكراً وينمون فيهم الطموح والأمل المفرط، على غرار ما هو مكرس في الألعاب الأولمبية المعاصرة المنقولة بالحرف عن الإغريق، بأنهم قدْ يُشاركونَ يوماً ما في **الألعابِ الإغريقيةِ العامة** (***the Pan-Hellenic*** games).

ففوز الشاب في هذه الألعابِ يعد شرفا عالياً جالباً للمجد والشهرة للفائز، بل ولعائلته ومدينته أيضاً.

وقد كانت **الساحة العامّة اليونانية** (agora) (صورة)

، وعلى خلاف بازارت العراق، تقوم بدور حيوي مزدوج.

إذ زيادة على كونها سوقا يتبضع الناس فيها ويتَبادلون فيها السلعَ والمنافع، فقد كانت أيضاً بمثابة القلبَ النابض في الحياةِ الثقافيةِ والفكرية اليونانيةِ، حيث يتم فيها عرض وتبادل الأفكار والآراء ووجهاتِ النظر المختلفة بحرية في العراء مِن قِبل المفكّرين والفلاسفةِ.

فاليونان القديمة في القرن السادس قبل الميلاد كانت مكونة من مئات من هذه المدن، التي لا تشبه إحداها الأخرى.

ولأسبابِ عشائريةِ، فالعضوية في المدينة اليونانية (polis) كَانتْ وراثية وبمواطنة ضيقة وحصرية، حيث اقتصرت **المواطنة** في أيّ مدينة من المدن بشكل خاص على مجموعةِ عشائريةِ خاصّةِ مكونة من **الذكور البالغين** المالكين إما للأرض أو للعقار أو الثروة، وأقصي منها **الفلاحون**، و**النِساء**، و**العبيد**، و**الأجانب المقيمين**.

وهو نوع من الحكم عرفه الفيلسوف **أفلاطون (346 – 428)** ق.م في كتابه: "**السياسة**" بحكم: **التيمقراطية** (Timocracy). وهو حكم أساسه الأشراف، أو أصحاب الثروة والجاه.

ومن هذا المنظور فالمواطنة في هذه المدن اقتصرت على أقل من 10 في المائة من السكان!.

كان مجال كل مدينة يتكون من مزارع محيطة بها يقطنها فلاحون مستقرون.

هؤلاء المزارعون، غير المنضوين في عداد المواطنين، كانوا يعيشون ضمن حيطان المدينةِ ويخَرجون للعَمَل في الحقول كُلّ يوم ولا يَعُودُون إلى بيوتهم سوى ليلاً.

وتميز اليونانيون الذين أمضوا جل حياتهم بداخل أسوار المدينة ولم يسافروا قط إلى الخارج بضيق الأفق، حيث كانوا يعتبرون أن كل الأغيار هم دونهم في المنزلة أو المستوى الحضاري، كما هو منتظر من أي مجتمع معزول ومنغلق على نفسه.

وقد كرسوا هذه النظرة المتعالية بإطلاق اسم: "المتبربرين"، أي: الهمج على كل من لا يتكلم اللغة اليونانية، وهو المنظور الذي سترثه الحضارة الغربية بحرفيته اللغوية ليلازم ثقافتها وإلى اليوم.

وللإنصاف، فلم يكن كل الإغريق شوفينيين بهذه الدرجة المقيتة، بل برز من بينهم مفكرون جوالون تساموا فوق هذه النظرة الشوفينية الضيقة أمثال الفيلسوفين:

أ) طاليس (Θαλής) (Thales) **(625 ق.م - 547 ق.م)** ،

ب) وفيثاغورس (Πυθαγόρας) (Pythagoras) **(580 ق.م! - 490 ق.م!)** ، **من بين آخرين، الذين سافروا إلى الخارج وزاروا على الخصوص مصر وبلاد ما بين النهرين (العرق) ووقفوا مشدوهين أمام إنجازات هذه الشعوب.**

فهؤلاء، وعلى قلتهم، اتسموا بالإنصاف، بل وبالإكبار لما شاهدوا من مآثر وصروح، فلم يتوانوا في نقل بعض ما شاهدوا بالحرف إلى اليونان ليُصبحوا بعد ذلك معلمين أفذاذ لهم.

فقد أدرك هؤلاء المفكرون أن المصريين[3] والعراقيين لم يسبقوا فقط اليونان بحوالي 3500 سنة من التحضر، بل كانت نظرتهم إلى الشعوب الأخرى أكثر رحابة وتفهما بسبب اختلاط السكان وانفتاح هذه البلاد على الخارج من دون وجود حواجز طبيعية تمنعهم من التواصل، إن لم يكن بالتجارة، فبالغزو والفتح.

ومن بين مشاهير اليونانيين الذين غلبت عليهم النظرة الشوفينية المتزمتة المتعالية:

1) المؤرخ الإغريقي الشهير: "هيرودوتس الهاليكارناسوسي (Ἡρόδοτος) (Ἁλικαρνᾱσσεύς) **(*Herodotus* of Halicarnassus) (484 ق.م - ca. 425 ق.م)** ،

2) والفيلسوف أرسطو (Ἀριστοτέλης) (Aristotle) **(384 ق.م - 322 ق.م)** .

[3] كان المصريون القدماء، وعلى خلاف اليونانيين المَعْزُولين، سكانا مختلطين يتّفاوتون في لون البَشَرَة مِنْ "الحمر" (روت بالمصرية) "Rot"؛ ذوي الجلد الحمر، الأكثر سيادة بينهم؛ و"الصُفر" (نامو) "Namu" أو الآسيويون، و"السود" (نحسو)؛ "Nahsu"، و"البيض" (تمحو) "Tamhu"

فهرودوتس **مثلاً:**

1) قسّمَ العالم إلى عالمِ "اليونانيين" وعالمِ "البرابرة" وجادلَ ثانياً؛

2) بأن "البرابرة"، أو" الغرباء" هم دون اليونانيين في كل شيء، ليكتب دون أن يرتد له طرف[4]؛

"أن اليونانيين تميزوا ومنذ عهد سحيق عن الأغيار ب الحصافةِ والحريةِ والبعد عن السفاسف والحماقات"

قلت (عمراني):

ويكفي لإلقام هيرودوتس حجراً فيما ادعاه لجنسه، وإثبات أن الحمق متجذر في اليونانيين ما هو متجذر في غيرهم، تذكيره، وهو الذي سافر كثيراً إلى الخارج، بكثرة آلهة ومعبودات اليونانيين، التي هي نسخ مبتذلة لليونانيين أنفسهم، وتشبههم في كل شيء بل وعلى مقاسهم، وبأنهم لم يكتفوا ببناء المعابد والتماثل لها، بل قدموا لها القرابين البشرية كما تفعل كل الشعوب المتوحشة والبدائية، وأنهم كانوا يستشيرونها في كل أمر عظيم فيما لا تستطيع إجابتهم إليه بحال، حال ما كانوا يفعلون مع المعبود أبولو (Apollo) **في دلفي (Delphi)** **.**

هذا الهوس البنيوي في التفكير اليوناني، سيتم دمجه َلاحقاً في بَعْض الثقافاتِ الغربيةِ الوارثة عنه، ليتجاوز حدود عِلْمِ الاجتماع المقارن، ويصيب برذاذه مجالات أخرى من المعارف العامة.

قلت:

وبما أن النظرة إلى الأجنبي هي بهذا السوء، فلن نعجب أن تصحبها بعض الأمراض المرتبطة بها، ولعل أسوأها: إغماط الحقوق، حيث سيلجأ بعض آباء الإغريق إلى السرقة الفكرية والانتحال، للتَقليل من قيمة مساهمةِ البرابرة في المعرفةِ العالميةِ، والتستر على حقوقهم في الاكتشافات والإنجازات الحضارية، بل سيذهب الشطط ببعضهم إلى نسبتها زوراً وبهتاناً طُرّا إلى اليونانيين، على ما سيتكرر لاحقاً وبعد ألفي عام مع الغربيين في تعاملهم مع إسهامات الشعوب غير الغربية في الحضارة العالمية.

---

[4] *"THE HISTORY OF HERODOTUS", translated by George Rawlinson, p. 14.*

ولعل خير ما نمثل به لهذا الانتحال ما نسب للفيلسوفين **طاليس** و**فيتاغورس**، من قوانين رياضياتية حملت اسميهما وانحدرت إلينا كحقائق، بينما أثبتَ عِلْم الآثار المعاصر بما لا يدع مجالا للشك، بأنّ المصريين بالإضافة إلى العراقيين عَرفوا تلك القوانين لألف سنة خلت بل وشيدوا بعض منشئاتهم كالأهرامات على ضوئها! .

فهذه الحالة النفسية المرضية (psychopathological) التي ترنوا إلى إطراء الذات بما ليس فيها مع التقليل من شأن الآخرين، سمة بارزة ل "**أوهام العظمةِ**"، التي قد تنقلب إلى "**جنون العظمة**" (Megalomania)، كما نجد في بعض ما سطرت يراع **أرسطو**[5]؛

" لا يوجد تمييز عند **المتبربرينَ** بين النِساءِ والعبيدِ، لأنه ليس هناك حاكم طبيعي بينهم: فهم جماعة من العبيد ذكور وإناث. ولهذا السبب كان الشعراء يَقُولونَ:
الهلّينيون يَجِبُ أنْ يَحْكمَوا المتبربرين؛
كما لو ظنوا بأنّ المتبربر والعبدَ كَانا بحكم الطبيعةِ شيئاً واحداً.

ليضيف[6]؛

"ولهذا السبب كره الهلّينيون إطلاق اسم عبيد على الهلّينيين مثلهم واقتصروا على إطلاق التسمية على المتبربرين.
لكن، وباستعمال هذه اللغةِ، فهم قصدوا العبدَ الطبيعيَ الحقيقي الذي تَحدثنَا عنه في باديء الأمر؛ لأنه يجب أنْ نعتَرفَ بأنّ البعض عبيدَ في كل مكان، وآخرون ليسوا في أي مكان.
ونفس المبدأ ينطبق على طبقة النبلاءِ.
فالهلّينيون يَعتبرُون أنفسهم نبلاء في كل مكان، ولَيسَ فقط في بلدهم خاصة،
ويَعتبرونَ المتبربرين نبلاءَ فقط عندما يتواجدون في أوطانهم.
مشيرين ضمناً إلى وجود صنفين من طبقات النبلاءِ والحريةِ،
الأول مُطلق، والآخر نسبي.
فهيليني ثيوديكت (Theodectes) يقُولُ:
"مَنْ يَفترضُ تلقيبي ب "**خادمِ**" وأنا المنحدر من كلا الجانبين مِنْ جذع الآلهةِ؟ "

قلت:

---

[5] *Aristotle, "Politics", **Book I; Chapter II.***

[6] *Book I; Chapter VI*

هذه النرجسية المفرطة، ستعيش حياتها الخاصة بها بمعزل عن العقل أو المنطق، لأنها وجدت هوى غلابا لَيسَ فقط مَع **اليوناني الإمبريالي**، بل ومَع **الإمبريالي الروماني** أيضاً الذي خَلفهم على المسرح السياسي العالمي لاحقاً، لينتقل بعد ذلك بحذافيره إلى كُلّ الإمبرياليين الغربيين من شاكلة؛ **الاستعمار البريطاني الفيكتوري**، و**الاستعمار الثوري الفرنسي**، و**النازية العنصرية**، و**الفاشية الإيطالية** و**الإمبريالية الأمريكية**، من بين آخرين.

قلت:

ولم يقتصر هذا التوجس العنصري من '**الاختلاف**' و"**الغيرية**" (alterity)[7] على الساسيين فحسب، بل وجد من رجالات الدين من تقمصه، كما نستشف من فحوى خطاب ألقاه البابا، **أوربان الثاني** (1042-1099) في مدينة **كليرمونت فيراند** (-Clermont Ferrand) بفرنسا {تمثال تذكاري للبابا في ساحة النصر في مدينة كليرمونت فيراند }، المفترض في عقيدته المُعلنة الدعوة إلى التواصل والمحبة للجميع، يستنهض به قن الأرض الأميين الأوروبيين لمُحَارَبَة **الكفَّار المسلمين** في أرض الحليبِ والعسلَ (فلسطين)، قائلا[8]؛

"أنا، أو بالأحرى الله!!!!، أتوسّل إليك باسم السيد المسيح لنشر هذا في كل مكان ولإقناع كُلّ الناس كيفما كانوا، جنودا مشاة وفرسانا، فقراء وأغنياء، لِحَمْل المساعدةِ فوراً إلى أولئك المسيحيين ولتَحْطيم ذلك **الجنس الحقير** !!!!!مِنْ أراضي **أصدقائِنا**.
أقولُ هذا للحاضرين هنا، وللغائبين. وعلاوة على ذلك، فالسيد المسيح يَأْمرُ به! ! ! ."

قلت:

الأصدقاءُ المشار إليهم من طرف البابا هم **البيزنطيون**، الذين ورثوا ذات التعالي بالنسبة للأغيار، حيث كانوا يعتبرون أنفسهم مُثقفين وأكثر تحضرّا مِنْ برابرة الغربِ المسيحيين الذين يمثلهم البابا أوربان الثاني.

[7] أنظر بالقسم الفرنسي على موقعنا: "عيش الغيرية في الإسلام" (Vivre l'altérité en Islam)
[8] أنظر:
Urban II: Speech at Council of Clermont, 1095, Five Fulcher of Chartres' account of Urban's speech, Internet Medieval Sourcebook (available as part of the versions of the Speech

بل، إن **البيزنطيون** كانوا يتوجسون خيفة من انتصار الصليبيين على المسلمين، لأن في ذلك حتفهم، وظلوا ينظرون إلى الحملات الصليبية كخطر وشيكٍ وكارثة بدلاً مِنْ أن تمثل قارب نجاة لأمبراطوريتهم المتساقطة.

والسبب هو أن **الصليبيين** كَانوا من **الكاثوليكيين الرومانيين**، الأعداء الألداء **للكنيسةِ الأرثذوكسيةِ البيزنطية** من جهة العقيدة. ولو قدر للصليبيين أن ينجحوا في حملاتهم ، لما توانوا في احتلال الأراضي التي يعتبرها البيزنطيون ملكا لهم.

قلت:

هذا، بالرغم من كون البيزنطيينن وإلى ذلك التاريخ، كانوا قد فقدوا الكثير من أراضيهم إلى المسلمين وكَانوا عاجزين على استردادها منهم في المستقبل المنظور!.

هذا الهاجس البيزنطي قادَهم لتَخريب الحملة الصليبية المعروفة تحت اسم: **حملة الفقراء** التي دعا لها وقادها سنة 1098 م الفرنسي: **بطرس الناسك** والتي ستعمها الفوضى ليتم إبادتِها عن بكرة أبيها من طرف السلاجقة المسلمين.

وللتاريخ، فقد سعى البيزنطيون أيضاً لتَخريب كُلّ الحملات الصليبية اللاحقة.

ويكفي التَذّكير بأن أهم الأسبابِ التي أدت إلى الفشلِ النهائي للحملات الصليبيةِ تمثل في كَبْح البيزنطيين لهذه الحملات وطعنها من الخلف، منذ أن هاجمتْ الحملة الصليبية الرابعة بيزنطة ذاتها، قبل الحسم النهائي لها على يد **صلاح الدين الأيوبي** (ت: 1193 م)

قلت:

وبما أن التاريخ الغربي يكاد يكرر نفسه في الإنتاج، فيما يشبه عودا أبدياً كلما سنحت له الفرصة، فلن نعجب أن يخرج من ضئضئه في كل مرة، من هو مُحمّل ومسكون بهذا الهاجس، ليكرر نفسه في التاريخ، حال ما فعل **نابليون بونبارت** في حملته على **مصر**، وحال ما فعل أخيراً أب **الإرهاب الدولي** غير مدفوع: الرّئيس **بوش الابن** في حملته على ما سماه ب "**الإرهابِ الإسلامي العالمي**"، بينما ظل يتستر ويموه علة السبب

الحقيقي الذي دفعه لشن حربه الظالمة على العراق، سادراً في غيه باختلاق الأراجيف والأكاذيب مرهبا لدول المنطقة وأوروبا والعالم، وهو يخيرهم بخيارين أحلاهما مر:

من ليس معنا فهو ضدنا

هذا، قبل أن تكتشف الحقيقة بإعلان العميل الأمريكي، جون رفكينز (John Rifkins) في كتابه: "اعترافات قاتل اقتصادي بأجر" (Confessions of an Economic Hitman) 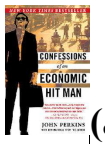 للسبب، وهو رفض الرئيس صدام حسين بما كانت قبلت به دول الخليج العربي مرغمة، في تسعير بترولها الخام بالدولار الأمريكي.

الأمر الذي يجعل هذه الدول، مع بقية دول العالم، تمول مرغمة مديونية العم سام وحروبه ومغامراته السياسية بكلفة باهضة على ميزانها التجاري، في حين يحصد العم سام كل ذلك بطبع الدولارات فحسب، التي لا تكلفه سوى قيمة ورقه غير المطبوع.

وهو أساس الأزمة المالية العالمية الراهنة.

وقد صرح رفكينز، أن لو كان صدام قبل بما كان قد عرضه هو نفسه عليه، لما تم الهجوم على العراق ولا تمت تصفيته بالطريقة الرعناء التي شاهدها كل العالم .

وسيتذكر التاريخ بذهول أن أمريكا في عهد بوش الابن تم قرصنة ديمقراطيتها وتحول الحكم فيها إلى أوليغارشية بغيضة في الداخل من خلال التضييق على الحريات العامة للمواطنين، والمسلمين من بينهم خاصة، والانتهاكات المتنوّعةِ في سجن أبو غريب ، ومذبحة الفلوجة للسكان المدنيين،. . بالإضافة إلى المعالجةِ اللا إنسانيةِ والقاسيةِ للسجناءِ في معتقل قاعدة جوانتانامو , ... وباقي الأعمال المخزية الأخرى.

انتهاكات يشد بعضها بتلابيب بعض، مثبتة مرةً أخرى، بأنّ هذا التصرفات الرعناء لا تخرج عن كونها إعادة إنتاج واجترار للتراثِ الاستعماري الأثيني، والإسبرطي القديمِين، على ما سنفصل فيما بعد.

الشاهد، هو أن الرئيس بوش الابن كان قد صرح أثناء النِقاش الرئاسي الذي جمعه مع نده الديمقراطي آل غور في 30 من أكتوبر/تشرين الأول سنة 2000:

"يعتقدُ معارضُي أن جيشُنا يَجِبُ أنْ يُستَعملَ لبناءِ الأمةِ وحفظِ السلام بدلاً مِنْ أنْ يُركّزَ على مهمته الأساسية، وهي أن يكون قادرا على خَوْض وربْح الحروب."

وسيصرح بعد أربعة سنوات في مايو/آذار من 2004:

"أرسلتُ قوّاتَ أمريكية إلى العراق لجَعْل شعبها حرا! ! ! ! ، وليس لجعلهم أمريكيين. العراقيون سَيَكْتبونَ تأريخَهم الخاصَ وسيَجِدونَ طريقَهم الخاصَ! ! ! ! ."

قلت:

ألا نعجب!، وعلى أكثر من صعيد، أن لا يكون متاحاً للمواطن الأمريكي العادي، المعروف عن غالبيتهم دماثة الأخلاق والطيبوبة الفطرية والانفتاح على الآخر، كما وقفت على ذلك بنفسي، أثناء دراستي واحتكاكي بهم في الولايات المتحدة الأمريكية، من بدائلَ موضوعية أخرى تعرض عليهم، ليختاروا الرجل الكفء المحنك الذي سيشغل المكتب التنفيذي الأعلى، من بين آلافِ السياسيين القادرين، سوى الخيار بين فردين متعاقبين، قليلي الذكاء والفطنة، بل والأنكى أنهما من نفس العائلةِ الأوليغاركيةِ؛ بوش الكبير وبوش الإبن! ؟ ، بينما احتمالية حصول مثل هذا التعاقب بالصدفة وفي أقل من عقدين يلامس الصفر!

ومع ذلك حصل !

فإن لم تكن هذه ديمقراطيةِ ظلت سعيها وتحولت إلى حكم القلّة الصرف، فهي بالتأكيد صورة مجسدة ل التيمقراطية (Timocracy) في وضعها الأسوأ.

خصوصاً إذا ما تذكر المرء:

1) بأن **السومريين**، أسلافَ العراقيين الحاليين هم من يرجع إليهم الفضل في اختراع العديد مِنْ المبتكرات مثل، المحراث، والعجلة، والتقويم، والكتابة، وطوّرَوا أول منظومة قانونية عرفتها البشرية، وثانيا؛

2) أن "**الدولَ- المدن**" السومرية المبكّرة تبنت بكل تأكيد نوعا من **الشورية**، قبل أن تستسلم للملوكِ الاستبداديين، الذين سيحكمونها كطغاة بقبضات من حديد، كما نستنتجَ مباشرة مِنْ ملحمة **جلجامش** ، لينقلب هذا الاستبداد إلى إمبراطورية مترامية الأطراف مع مرور الوقت.

وهو ما لن يتوفر مثله للمدن اليونانية سوى بعد مرور أكثر من ثلاث ألف سنة، تحت الحكم الاستبدادي للمقدونيين في عصر الفيلسوف **أرسطو** نفسه، معلم **الإسكندر الأكبر** (Μέγας Ἀλέξανδρος)(**ميجا أليكساندروس**) (*Megas Alexandros*) **(356 ق.م -323 ق.م)**

.

وكما كان متوقعا، وكذريعةِ سياسيةِ، فلإسكندر المقدوني، طبقاً للفيلسوفِ **أراطوسطين** (**Eratosthenes**) [9] لَمْ يُتأثر بجنون عظمةِ معلمه **أرسطو**، وذُكر بأنه أقسم سنة **324 ق.م**، أمام ضباطه وجنوده في مدينة "**أوبيس**" "**Opis**" قُرْب بابل قائلاً؛

"أتمنّى لكم، الآن بعد أن ألقت الحروب أوزارها وأشرفت على الانتهاء أن تعيشوا في سعادة بسلام. كُلّ البشر من الآنَ فصَاعِدَاً سَيَعِيشونَ كشعب واحد متحد، يعمل بسلام لتحقيق الازدهار المشترك. يَجِبُ أَنْ تَعتبرَوا العالم بأكملهَ كبلدكَم, بلد حيث الأفضل يحْكمُ بالقوانين العامةِ، وبدون إمتيازاتَ عرقيةِ.

أنا لا أميز بين الناسَ، كما يحلوا للعديد مِنْ الآخرين الضيّقي الأفق أن ينظروا إلى اليونانيين والبربر. أنا لا يهمني أصل أو جنس المواطنين. أنا لا أميز بينهم سوى على أساس فضيلتهم. وبالنسبة لي فكُلّ أجنبي هو يوناني وكُلّ يوناني سيئ هو بربري. فكلما ظهرت اختلافاتَ بينكم، فلا يَجِبُ أَنْ تَحلّوها بأخذ الأسلحةِ، بل يَجِبُ أَنْ تَحلّوها بالسلم. ولو دعت الحاجة، فسأعمل كمفاوض لكم.

[9] ولد سنة: 276 ق.م في قيرين (Cyrene)، بشمال أفريقيا (الآن: "شحات" Shahhat، بليبيا) وتوفي سنة: 194 ق.م في الأسكندرية، مصر).

لا يَجِبُ أنْ تَفكروا في الله كحاكمٍ استبدادي، لكنّ كأبٍّ مشترك، حيث أن تصرّفكَ يَشْبهُ السلوكَ الموحّدَ للإخوةِ الذين ينتمون إلى نفس العائلةِ. من جهتي، أعتبرُ الجميع، سواء أكانوا بيضاً أو سودا متساوين. وأوَدُّ أن تكونوا ليس فقط أعضاء في الرفاهية المشتركةِ، ولكن أيضاً مساهمين وشركاءَ.

يَجِبُ أنْ تَعتبروا القسَمَ الذي أخذنَاه على أنفسنا اللّيلة كرمز للحبِّ."

قلت :

لا عَجَب! أن تكون هذه النظرة متسمة بمسحة من التسامح، مادامت صادرة من طرف باني إمبراطورية شملت شعوبا أخرى بالإضافة إلى اليونانيين المقرفين الضيقي الأفق، وأن تكُونُ خالية مِنْ جنونِ العظمة البغيضِ في المواطن الأصلي، إن كان ل الإسكندر أنْ يَنْجحَ في حُكْم إمبراطوريتِه الواسعةِ المترامية الأطراف، كما فعل قبله: المصريون، والعراقيون، والحثيون؛ وغيرهم من الشعوب الحضارية الأخرى ومن ضمنهم الفُرْس، الذين سَبقوا اليونانيين بمراحل على مسرح التأريخ السياسي.

ثم لا عجب أيضاً في رجب، أن يعلن الرئيس أوباما، خلف الرئيس بوش في البيت الأبيض في شهر مايو 2010 عن استراتيجية قومية جديدة، للخروج من المازق السياسي الذي ورط فيه بوش الولايات المتحدة الأمريكية، وذلك من خلال التخلي عن قاموسه السياسي واللغوي كله، كحربه الكونية ضد الإرهاب، من خلال استبدالها باللجوء إلى الطرق السلمية لفك النزاعات، بدل مقولة الأخير الرعناء: من ليس معنا هو ضدنا.

فهذه الإستراتيجية الجديدة أملتها الظروف الصعبة التي يئن تحتها الاقتصاد الأمريكي، الرافد لسياسة الممكن، وليس تغييرا في المنطلقات والأسس.

وبلغة أخرى، فالإستراتيجية الجديدة تحاكي بالحرف الاستراتيجية القديمة لبوش، لكن بوسائل أخرى!

انتهى وتليه الحلقة الثامنة عشرة

نظام الحكم الإسبرطي.